الأسلوبية الإحصائية ونتائجها

م. د. كفاية مذكور شلش

كلية الآداب . جامعة البصرة

المقدمة:الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله وعلى اله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين . ان هذه الدراسة المتواضعة اتخذت من الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح الرائد الأول للدراسات الاسلوبية الإحصائية في الوطن العربي مداراً لبحثها فقد اتجه الدكتور الى المنهج الاحصائي ليقيم عليهِ مشروعه في دراسة الأسلوب، وقد اثبت في دراساتهِ القيّمة والمتنوعة قضية التماس المعايير الموضوعية لدراسة الأدب، ووضع منهج أكاديمي له. وان ليس كل انحراف جديراً بأن يعد له خاصية اسلوبية، وكانت هذه الدراسة مقسمة على مباحث الأول منها عالج مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والاسلوبية اللسانية، واتجاهات البحث البلاغي ودرس المبحث الثاني الانتقال من الجغرافية اللغوية الى الجغرافية الاسلوبية، والاطلس اللساني، والمبحث الثالث: درسَ الاسلوبية الإحصائية، أما المبحث الرابع فقد درسَ الاتجاه الاسلوبي الاحصائي نقداً وتقويماً، والنقد اللساني، فقد ذكر الدكتور سعد مصلوح، ان هذه الدراسات القيّمة التي كتبها ونشرها ما بين السعودية ومصر والجزائر والسودان والكويت ان هناك جامعاً يجمعها في الموضوع والغاية وذلك انها محاولة لاستيحاء معلم أصيل من معالم الثقافة العربية الإسلامية الزاهرة تلك الثقافة التي تفخر بوافر تصانيفها في الجدل والمناظرة ومسائل الخلاف في سماحة نادرة[1]. وعليه يمكن ان نوجز بعضاً من كتب المؤلف الأسلوبي الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح وهي:

١- اتجاهات البحث اللساني لميكا ايفتش: ترجمة بالاشتراك، الطبعة الثالثة المجلس الأعلى للثقافة قيد النشر ٢٠٠٣.
٢- التدريب اللغوي: بالاشتراك، دار العروبة، الكويت، ٢٠٠٣م.
٣- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٣.
٤- نحو العربية: في أَربعة أَجزاء بالاشتراك دار العروبة الكويت ،٢٠٠٠-٢٠٠٣م.
٥- الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، الطبعة الثالثة، عالم الكتب القاهرة، ٢٠٠٢م.
٦- فرائد القصائد من ديوان الشعر العربي، ترجمة عبد العزيز مصلوح، جمع وتحقيق وتقديم، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٧- في النص الأدبي، دراسات أسلوبية إحصائية، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٨- مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام لارنست بولجرام ، ترجمة عن الإنكليزية، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٢م .
٩- الكتابة العربية مهاراتها وفنونها بالاشتراك دار العروبة، الكويت، ٢٠٠١م.
١٠- دراسة السمع والكلام، الطبعة الثانية، عالم الكتب، ٢٠٠٠م.
١١- الشعر العربي الحديث، تأليف س. موريه ، ترجمة بالاشتراك، ١٩٨٦، الطبعة الثانية، قيد النشر.
١٢- حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخيل في الشعر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠م، الطبعة الثانية، قيد النشر.
١٣- المسلمون بين المطرقة والسندان، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠م.
وغيرها من المؤلفات القيّمة التي تثبت ان الأستاذ الدكتور كان عالماً بارعاً، ومترجماً ومصنفاً، ودارساً للغة العربية والتراث العري بأكاديمية علمية وأُسس منهجية دقيقة .

المبحث الأول:مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية .

إن إقامة تصور العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات أمرٌ لا يُسلم نفسه في يسر وإسماح لباحث، ذلك لأن ((البلاغة)) علمٌ ذو أرومة عريقة في الثقافة، كانت نشأتُهُ لحاجة ملحة، وتوجه أصيل في الثقافة العربية الإسلامية وقد ظلت ((البلاغة في أطوارها المختلفة وَفيّةً للغاية التي انتدبت لتحقيقها، حتى حين فُتِحت أبواب الثقافة الإسلامية للإفادة من علوم الأوائل ولم تفتقد هذه الثقافة يوماً معيارُهَا الضابط لجميع توجهاتها، أما ((الأسلوبيات)) فلا تزال باتجاهاتها وتصوراتها ذات الصلة الوثيقة باللسانيات الحديثة غريبة وافدة علينا، ومازال أصلها والمقتنعون بجدواها يبحثون لها عن دور تقوم به في إعادة صياغة النظرة العربية المعاصرة إلى دراسة النص الأدبي ومن هنا تأتي الصعوبة في صياغة العلاقة بين علمٍ رسا ورسخ، وآخر يتلمس طريقه إلى ثقافتنا غريباً حذراً[٢].

ونطرحُ بين يدي هذه المحاولة الأسئلة الآتية[٣]:

١- أي اتجاهات الدرس البلاغي هو المُعنَى هنا؟ وما عِلةً اصطفائه دون غيره ليكون، طرفاً في ميزان العلاقة التي يراد تحريرها؟

٢- الى أي مدى كان الاتجاه المختار مرضيّاً من البلاغيين المحدثين؟ وما مَلاَحِظهم عليه؟ وما التقويم الذي نحسبه عادلاً لهذه الملاحظ؟

٣- ما حظ الصيغ التي طرحها بعض المحدثين لتجديد البلاغة من التوفيق؟ وما مكانها في مجال تحرير العلاقة بين ((البلاغة العربية)) و((الأسلوبيات اللسانية))؟

٤- هل ثمة مباينة منهجية قائمة بين طرفي العلاقة؟ وما مسوغات هذا الرأي إن كان صحيحاً؟ وما عسانا أن نقول إذا أردنا أن نقّوم البلاغة العربية تقويماً لسانياً؟ وما ملامح التصور المقترح للعلاقة بين العلمين؟

اتجاهات البحث البلاغي: وفيه اكد د. سعد مصلوح اختلاف الدراسات التي عالجت تاريخ البلاغة اختلافاً كبيراً فيما سلكته عن طرق لتصنيف اتجاهاتها تقويمها. وعرض رأي الدكتور شوقي ضيف في نشأة البلاغة، وانه جعل الجاحظ

خاتم عصر النشأة لتبدأ بعده دراسات منهجية صنّفها الى دراسات لبعض المتفلسفة، وأُخرى لبعض المتكلمين، وثالثة لبعض المتأدبين.وقد رسم ملامح الصورة التي استقرت في وجدان الباحثين وعقولهم عن السكاكي صاحب ((مفتاح العلوم)) فقد رأى انه ظُلم ظَلماً يَعزُّ نظيره، ولما كانت صيغة السكاكي هي الأَقرب والأرجح – عنده – إلى روح اللغة من باقي الصيغ، والأجدر بأن تكون طرفاً في علاقة الحوار بين التراث البلاغي والأسلوبيات اللسانية المعاصرة(٤).وعليه فقد وجد د. سعد عبد العزيز مصلوح ان البلاغة العربية والاسلوبيات اللسانية مبحثان يجتمعان على فحص مادة هي لغة الأدب، أي: النص الإبداعي ولكنهما يختلفان فيما وراء ذلك اختلافاً كبيراً من وجوهٍ عدةٍ نوجزها بالاتي(٥):

أَولاً:مادة البلاغة العربية هي الشواهد المتفرقة والأمثلة المجتزأَة ، فهي بلاغة الشاهد والمثال والجملة المفردة، إذا استثنينا مبحث الفصل والوصل الذي يعالج قواعد الربط ما بين جملتين. وغنيّ عن البيان أن الدرس الأسلوبي اللساني يستحيل ان يتخذ ماد فحصه من الشاهد والمثال، والبديل لذلك عنده معالجة نص أو خطاب أو مدونة ((corpus)) تشتمل مجموعة من النصوص يجمع بينها جمع من مؤلف، أو موضوع، أو فن أو عصر.

ثانياً:الوحدة التصويرية المعتمدة في التحليل عند البلاغيين هي ((الفن البلاغي)) سواء انتسب إلى المعاني أو البيان أو البديع، فمن الفن البلاغي ينطلق عَلم البلاغة ليعرِّفه، ويورد شواهده، ويحدد اقسامَهُ، أما في الأسلوبيات اللسانية فإن ((الخاصية الأسلوبية)) هي الوحدة التصويرية المعتمدة في التحليل، وهذهِ تُفارق الفن البلاغي في أنها ليس لها وجود مطلق خارج النص أي: أنها لا تعد خاصة أسلوبية الا إذا كانت داخل النص، وكانت مظهراً من مظاهر تميز التشكيل اللغوي فيهِ.

ثالثاً:لا تعد الخاصية أسلوبية بمجرد وجودها في النص، إذ إن النظر إليها بهذا الاعتبار يرتبط بالشيوع والندرة النسبيين، ومن ثم كان البُعد الإحصائي جزءاً من

ماهيتها. أمّا ((الفنون)) في البلاغة فهي قائمة يتساوى جميع مفرداتها في فرص ورودها من جهة الإمكان العقلي.

رابعاً: علوم البلاغة تعالج الإمكانات التعبيرية في اللغة من جهة قواعدها أَمَّا الفحص اللساني الأسلوبي فموضوعه الكلام والأَداء.

خامساً: تختص علوم البلاغة بفحص نوع بعينه من الكلام وهو ((الكلام الأدبي)) أما الفحص الأسلوبي اللساني فيمتد ليشمل أي جنس من أجناس الكلام اما النص الأدبي هو واحد من جملة أنواع من النصوص بالنسبة له، وان كان من أكثرها تَمَيُّزاً ويرتبط هذا الفارق بينهما بإستراتيجية البحث في كل منهما، فبحث الظاهرة الأدبية هو غاية البلاغيين، وبحث الظاهرة اللسانية هو غاية اللسانيين، وما الظاهرة الأدبية بالنسبة إلى هؤلاء إلا واحدة من تجليات الظاهرة اللسانية لا غير.

سادساً: تتجه علوم البلاغة في اختيار مادة فحصها وجهة اصطفائية في الأَعم الغالب، أي: إلى الجيد والمتميز من الكلام الأدبي، أما في البحث الأسلوبي اللساني، فللنص المحكوم عليهِ بالرداءة أهمية لا تقل عن النص المحكوم له بالجودة، ذلك أن ظاهرة التميز الأسلوبي واردة في الصنفين كما ان القوانين الأدبية عند الأسلوبي اللساني لا تتضح الا باعتبارهما جميعاً في أقصى تحققاتها، وفيما يقع ما بين طرفي التحقق من درجات متفاوتة.

سابعاً: غاية البلاغة تشريعية تعليمية عملية أما غاية الأسلوبيات اللسانية فهي بحثية تشخيصية وصفيّة الا بالمفهوم المذهبي ضرورة، وينشأ عن ذلك ان القيمة أصل عند البلاغيين، وتبعٌ عند اللسانيين. والتقويم كثيراً ما يأتي سابقاً على النظر البلاغي، ولكنه في النظر الأسلوبي لاحق في الأعم الغالب .

ثامناً: الأساس المنهجي الضابط لتصنيف علوم البلاغة وحصر فنونها وتعريفها وتحديد أَنواعها هو المنطق الأرسطي ((أي: علم الحد والاستدلال)) واشتركت مع البلاغة في ذلك علوم كثيرة منها ما هو حادث وما هو ذو أرومة عريقة في العربية: أما الأسلوبيات اللسانية فقد تحدد مجالها، وتشكلت تصوراتها في إطار

اللسانيات بعد أن اشتد ساعدها واستطاعت ان تُشعر استقلالها العلمي بالتخلص من التبعية المنهجيّة، بل أن تقوم في تاريخ العلوم الإنسانية بدور مؤثر في التوجهات البحثية والفلسفات المنهجية. وهذا استمده د. مصلوح من دراسته لدور الكلام وتأثير اللسانيات في الفلسفة وعلم الاجتماع والنقد.

تاسعاً: تعترف الأسلوبيات اللسانية بإمكان بحث ظواهر الأسلوب بحثاً آنيّاً أو زمانياً فيما يسمى بالأسلوبيات السكونية، والأسلوبيات الحركية. أما الطابع الغالب على البحث البلاغي فهو اللازمانية. والأسلوبيات اللسانية بهذا التصنيف أقرب الى خدمة مجالات كثيرة أخرى من الدرس الأدبي كالنقد وتاريخ الأدب.

عاشراً: يغلب على تقسيم علوم البلاغة وترتيب مباحثها وطرق الفحص فيها الطابع التفتيتي، ونعني به تجزيء الظاهرة الواحدة، وغياب إدراك العلاقات النظامية بين الظاهرات وانعدام مفهوم المنظومة التحليلية في الفحص على حينَ يغلب تصورات البنية والنسق والعلاقاتية والتوزعية وقواعد التحويل على اتجاهات لسانية مختلفة في دراسة الأسلوب.والجامع بين هذه الاتجاهات هو الخروج من التفتيتية التي ميزت لسانيات القرن التاسع عشر وما قبله إلى النسقية التي تُمَيّز مباحث اللسانيات الحديثة ومنها المنهج الأسلوبي .وإذا اعتبرنا ذلك عَلمنا مدى ما مُنيت بهِ الدراسة الأدبية واللسانية في العربية من خسارة ، حين ذهبت سدى جهود الإمام السكاكي لإقامة ((علم الأدب)) على أساس من إعمال منظومة تحليلية ذات بنية منهجية صارمة ولم تجد من المخالفين من يتابعها ويمحصها .

أَحدَ عشر: لم يكن لعلوم البلاغة من بُدٍّ من الاعتماد على نحو الجملة أو لسانيات الجملة وهي الدراسة اللسانية التي تعتمد الجملة ((أو الكلام بمصطلح النحو العربي)) بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل، ومرجع ذلك إلى انحصاره في معالجة الشاهد والمثال، وقبولهِ لتفتيت الظاهرة الواحدة. أما الأسلوبيات اللسانية فقد انفتحت أمامها في العقود الثلاثة الأَخيرة – والعقد الماضي خاصةً – آفاق من البحث لا تحدها حدود بتقدم طرق البحث في مجال نحو النص ((أو اللسانيات النصية))

حيث يجري تطوير وسائل التحليل اللغوي ورفع كفاءتها لتكون قادرة على معالجة العلاقات النحوية فيما وراء الجملة.

وعلى وصف الخواص الأسلوبية التي تحقق الاستمرارية البنيوية للنص ووسائل السبك اللغوية ومظاهر الحبك المضمونية، وثمة طرز لتحليل النص تمد اهتمامها لتشمل ما هو أوسع مما سلف ذكره بمناقشة النص في سياق التواصل الشعري من حيث الإنتاج، والاستقبال، والعوامل الشعرية والاجتماعية والنفسانية التي تؤثر في النص أو الخطاب تلكم الوجوه التي اسلفنا بيانها تقطع بأن ((البلاغة العربية)) لا يمكن ان تجد لها نصيباً في تشكيل الدرس الأدبي المعاصر. الا من خلال تجاوز الأسباب الموجبة للمباينة المعرفيّة بينها وبين الأسلوبيات اللسانية، ولهذا التجاوز لابد في الوقت نفسه من أن يصحبه حركة مواكبة من اللسانيات العربية نكون بها ظهيراً قوياً للدرس النصي عامة، ولدرس النص الأدبي خاصة، وبذلك تتصل الأواصر بين الدرس اللغوي والبلاغي في التراث والدرس الاسلوبي واللساني المعاصر على نحو تتجدد بهِ الأصالة ويتحول به التراث إلى قوة فاعلة في وعينا بالظاهرة الأدبية.غير أن الوجه الآخر من القضية لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا: وهو أن ((البلاغة العربية)) لا سيما في صيغتها التي قام كثير من علمائنا بِحَثْوِ التراب في وجهها ورجمها بحجارة المعاصرة، ما برحت قادرة على أن تقدّم للدرس الأسلوبي اللساني زاداً وفيراً من التصورات وطرق التحليل يمكنه بإعادة صياغتها أن يُحْكِمَ بها وسائله الفنية في مقاربة النصوص، فذلك عند د. سعد مصلوح هو خيرُ عقبةٍ من الاستسلام المطلق للدوار العلمي الذي أصاب وعي العرب وتجلى في كثير من دراساتهم للنص الأدبي.

المبحث الثاني: من الجغرافية اللغوية إلى الجغرافية الأسلوبية : حاول الدكتور سعد مصلوح بهذه الدراسة أن يستشرف باباً حادثاً من أبواب الأسلوبيات صاغه على طراز باب لساني قديم[٦]. وعنده ان اشتقاق علم من علم أو صياغة علم على طراز علم ليس بغريب عن العرب وتراثهم الخالد فقديماً سَنّ أسلافنا لهذهِ

السُّنة الحسنة، وهو من المقتدين بآثارهم .والعلم الحادث الذي يحاول ان يكسب له الشرعية المعرفيّة في الوجود هو ما اقترح الاصطلاح على تسميتهِ بـ((الجغرافية الأسلوبية)) ، وصلاً لِنَسَبِهِ بالجغرافية اللغوية التي هي علمٌ قارٌّ عرف طريقة الى ساحة الفكر اللساني في الربع الأخير من القرن التاسع عشر لظروف علمية اقتضت وجوده. وحين يكون موضوع الدراسة استبصاراً لأفق جديد من آفاق الإسلوبية تكون إقامة المسألة على هذا الموضع جواباً ضمنياً عن شكوك مترادفة تثار في وجه الإسلوبيات المعاصرة، والدراسة في هذا المبحث بُنيت على الوجه الآتي:

١- دراسة التنوع اللغوي في علوم اللسان:

فالتجانس والتنوع قطبان متجادلان يتجاذبان الظاهرة اللسانية، فاللسان الجامع لأبناء الجماعة اللغوية ما هو واحد ومتنوع في آن واحد انه واحد بما هو وسيلتهم الجامعة إلى التواصل فيما بينهم، وهو تعبير عن فعل العوامل الزمانية والمكانية والثقافية والاجتماعية في هذا اللسان وبما هو مظهر لصراع عوامل الانتماء المُجَمِّعة وعوامل الانتماء المفرّقة في أبناء الجماعة اللغوية الواحدة . ويدل عليها بمصطلحات ثلاثة هي: التنوع اللهجي: ويكون اجتماعياً أو محليّاً أو إقليمياً أو فردياً أما الجامعة لذلك كله فهي: التنوع المطلق الذي ينطوي تحت اللسان المتعين.

٢- أولية الجغرافية اللغويّة: التنوع المكاني : لم تكن دراسة التنوع اللغوي من موضوعات الدرس اللساني في القرن الثامن عشر؛ فقد كان اللسانيون لا يعترفون الا باللسان الفصيح ويرون في أي تنوع لهجي من تنوعاتهِ انحرافاً عن سواءه ينبغي التجافي عنه والبراءة منه. وظل هذا المعيار الصوابي الصارم حاكماً على قضية اللهجات حتى تراكمت التحولات المعرفيّة والفكرية والمنهجية التي عاشها الفكر اللساني في اوربا فبلغت ذروتها على مدى قرنين من الزمان وكانت ذروة هذهِ التحولات انبثاق فكرة الجغرافية اللغويّة، وكانت فرنسا اسبق دول اوربا- بعد ألمانيا - إلى إنجاز الأَطلس اللغوي لفرْنسا على يد جيبرن ١٨٥٤هـ - ١٩٢٦م. واهم

العوامل التي دفعت الى هذا التحول هو نجاح الثورة الفرنسية وما اعقبها من نهضة القوميات في اوربا، وتطور اللهجات واللغات القومية تبعاً لذلك واقترن ذلك بازدهار الرومانسية، وهيمنة اللسانية المقارنة والدرس التاريخي للغة على النشاط اللساني، والجهد الدائب لاكتشاف علاقات القربى بين اللغات، إلى سلالات وأُسر لغوية .

٣- ركائز الجغرافية اللغوية : للجغرافية اللغوية مظهران: مظهر تسجيلي غايته جمع المادة وتوزيعها على خريطة الميدان ورسم الخطوط التوزيعية الفاصلة والواصلة بين النقاط السكانية التي يشملها الميدان المدروس، ومظهر تحليلي غايته تأمل المادة المجموعة بعد تسجيلها واستنطاق خطوط التوزيع لاستكناه دلالاتها وتشخيص الفروق والتنوعات اللهجية وتميز الكيانات اللهجية . والمظهر التسجيلي يقوم على ركائز أساسية هي:

١- جمع المادة اللغوية: ويشمل تحديد نوع المادة المطلوبة، وحجمها والشروط الواجب توافرها في الرواة الذين تؤخذ عنهم اللغة، والطريقة المستخدمة في اخذها . وقد مرت جميع جوانب هذه العملية بمراحل من التطور. أما تقنيات الجمع فاختلفت مرحلياً على الوجه الآتي:

١- الجمع غير المباشر وغر المقنن وفي الأطلس الألماني، إذ عهد بهِ الى معلمي المدارس من القرى غير المدربين تدريباً لسانياً .

٢- الجمع المباشر والمقنن: ويقوم بهِ باحث ميداني واحد مدرب في الأطلس الفرنسي، إذْ قام بهِ ادمونّ، ولكن الاعتماد على باحث ميداني واحد – وان كان مجرباً – قلل الى حد كبيرعدد النقاط المفحوصة وأدى احياناً إلى انحلال شبكة الخطوط التوزيعية للغة.

٣- الجمع المباشر والمتقن الذي يقوم به عدد من الباحثين الميدانيين المدربين في اطلس نيو انجلاند وكان محاولة للاستدراك على عيوب الطريقتين السابقتين.

٢- الأطلس اللساني: ونعني به هنا النسب الى العلم والمنهج، أما الأطلس اللغوي ينصرف الى الظاهرة المدروسة في الكلام او اللغة المعنية ونعني بالأطلس مجموع

الخرائط الخاصة بالميدان اللغوي المُعْنَى، وعليها يجري توزيع تنوعات المادة اللغوية المجموعة بحسب انتماءاتها المكانية والاجتماعية ويندرج تحت الأطلس اللساني ثلاثة أنواع من الأطالس هي:

١- أطلس اللهجات. ٢- أطلس اللغات. ٣- الأطلس الإسلوبي.

٣- الخرائط اللسانية: وهو مصطلح جامع للخرائط والنماذج الجغرافية التي يجري عليها توزيع التنوعات اللغوية، وتتنوع الخرائط بحسب أنواع الأطالس إلى:

١- خرائط لهجية. ٢- خرائط لغوية. ٣- خرائط أسلوبية.

٤- أنواع الكيانات اللغوية: وهو مصطلح يطلق على مجموعة النقاط السكانية أو الجماعات الاجتماعية التي يجمعها عدد من ظواهر الاستعمال اللغوي الموحدة بينها والمائزة لها مما عداها.

٤- من التنوع المكاني إلى التنوع الاجتماعي: وهو الخاص بنوع الرواية الذي تؤخذ منه اللغة والشروط التي ينبغي توافرها فيه، فقد كان شرط الراوية في الأطلس الألماني ان يكون معلماً مقيماً لم يغادر موطنه الى غيره بما يفسد عليه لهجته المحلية، حتى تتسق المادة المجموعة مع الغاية من اثبات المراد قوانين التغير الصوتي وهو عين ما توخاه جمهور علماء العربية حين صرفوا عن اخذ اللغة ممن جاور أطراف الجزيرة العربية.

٥- من التنوع الاجتماعي إلى التنوع الأسلوبي

وعرض د. سعد مصلوح في هذهِ الدراسة لمفهومين أساسيين من مفاهيم التحليل الأسلوبي وهما: المتغير الأسلوبي والخاصية الأسلوبية.

٦- التشكيل الأسلوبي بين الذاتية والموضوعية:

التشكيل الأسلوبي في جوهره اختيار تعبيري من عدّة أبدال متاحة ويمكن تصنيف العوامل الحاكمة على الاختيار إلى نوعين:

أ- عوامل ذاتية: وتشمل الإيثارات اللغوية للمنشئ، وتكوينه النفسي وطابع تفكيره، ومهاراته الأسلوبية.

ب- عوامل موضوعية: وتشمل محددات المقام وهي عوامل مستقلة عن المنشئ وإن كانت تمارس تأثيرها من خلاله.

٧- التشكيل الأسلوبي وأجناس القول: يرى ان القسط الأوفر من التفاضل بين المنشئين في هذا المقام يعود إلى إحكام التوازن بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي على نحو تتجلى فيهِ الكفاءة اللغوية والحساسية الأسلوبية، ذلك أن التمايز الأسلوبي في هذهِ الأجناس الأدبية المعقدة لا يتحقق إذا هيمن الخيار الذاتي على التشكيل الأسلوبي وتكلم المنشئ بلسان نفسهِ وبلسان جميع شخصياتهِ وعبَّر عن المقامات المتناقضة بخصائص أسلوبية متجانسة، ومن هنا كان التوازن ضرورة فنية لا محيص عنها.

٨- نماذج التشخيص الأسلوبي : إن التشكيل الأسلوبي: هو عملٌ تركيبي يقوم بهِ المنشيء أما التشخيص الأسلوبي فهو عمل تحليلي يقوم به الباحث وان هدف الأول: إنتاج النص وهدف الثاني الكشف على الهوية الاسلوبية للنص. وقد ارتبط التشخيص الأسلوبي الكمي بالنموذج الرياضي ونعني بهِ الصياغة التجريدية للعلاقة القائمة بين المتغيرات الأسلوبية على النحو الذي تشكل به خاصية أسلوبية مائزة .

٩- موضوع الجغرافية الأسلوبية : إن مكتبة اللسانيات العربية حظها من الدرس الجغرافي اللغوي قليل جداً ومن الدرس الجغرافي الأسلوبي في حكم العَدَم، اما المكتبة اللسانية الغربية فان فيها ثمة تفارقا وأشتاتا من الملاحظ في أكثر من موطن ربما يكون لها إذا أُعيد جمعها وتنظيمها وتنميتها دور في تحديد قسمات هذا العالم[٧].

١٠- ركائز الجغرافية الأسلوبية: ونذكر أهمها :

١- جمع المادة الأسلوبية وتصنيفها.

٢- الأطلس الأسلوبي.

٣- الخرائط الأسلوبية وخطط التوزيع.

٤- الكيانات الأسلوبية.

١١- آفاق الجغرافية الأسلوبية: ونذكر أهم الآفاق البحثية في هذه الدراسة.

١- الأسلوبيات المقارنة والتقابلية.

٢- التنوع المكاني الأسلوبي.

٣- التنوع الأسلوبي والنموذج الجغرافي.

وعليه فقد بدأت دراسة د. سعد مصلوح في هذا الميدان من مجال معرفي قارَّ في اللسانيّات الغربية، لكنه غائب او يكاد يكون في الدراسات اللسانية العربية الحديثة ونعني به الجغرافية اللغوية، وقد برهنت الدراسة على وجود دور واعد للجغرافية الإسلوبية في تشخيص الأساليب، وكشفت وجود درجتين من التشكيل الاسلوبي: الأولى: بحسب محدودات المقام، والثانية تشكيل يقع في اجناس القول الأدبية لاسيما في الأنماط المركبة مثل القصة والرواية والمسرحية[٨].

المبحث الثالث : الأسلوبية الإحصائيّة: ذكر الدكتور سعد مصلوح في كتابهِ: ((الإسلوب: دراسة لغوية إحصائية)) جملة من المبادئ التي تمثل رؤيته وتوجهه العلمي وأهمها: قضية التماس المعايير الموضوعية لدراسة الأدب، ووضع منهج أكاديمي له، فيقول: ((... وَأَعني بها ضرورة العمل على إرساء منهج لغوي في نقد الأدب العربي يكون فيه النص أو الخطاب الأَدبي أولاً وقبل كل شيء هو موضوع الدراسة ويكون منهج الدراسة فيه لغوياً بالمفهوم العلمي لهذا المصطلح))[٩]. فتوجه نحو المنهج الإحصائي ليقيم عليهِ مشروعه في دراسة الأسلوب ، وذكر ان للإحصاء أهمية كبيرة ترجع إلى قدرتهِ على التمييز بين السمات أو الخصائص اللغوية التي يمكن اعتبارها خواصاً أسلوبية ، وبين السمات التي ترد في النص وروداً عشوائياً، وان ليس كل انحراف جديراً بأن يعد له خاصة أسلوبية وقد اجتذبت طرافة الجانب الإحصائي من دراسة الأسلوب عدداً من المتخصصين في مجال الإحصاء الخالص، وتظافرت الدراسات في محاولة لتطوير نظرية في علم

الإحصاء الأسلوبي . وقد أَوجز أسس النظرية الإحصائية للأسلوب في قضية بسيطة فحواها: ان الأسلوب هو مفهوم احتمالي(١٠).

وقد اتخذ الخطاب النقيض غير المباشر اسلوبية في مقابلة الخطاب السلفي المعاصر فكان الرفض سبلا لإعلان المبادئ كما في قوله: غير إني وجدت أكثر هذهِ الدراسات ما يزال مفتقراً إلى عملية المنهج وانضباط الوسائل وخاصة فيما يتعلق بالجانب الاحصائي، فالدراسة الاسلوبية تستعين بالإحصاء في المجالات الآتية(١١):

أولاً: المساعدة في اختيار العينات اختياراً دقيقاً بحيث تكون ممثلة للمجتمع المراد دراستهِ.

ثانياً: قياس معدلات كثافة الخصائص الأسلوبية عند منشئ معين، أو في عمل معين.

ثالثاً: قياس النسبة بين تكرار خاصة أسلوبية تكرار خاصة أُخرى للمقارنة بينهما ويتم حساب النسبة بإحصاء عدد مرات تكرار الخاصة الأولى وعدد مرات تكرار الخاصة الثانية في نص من النصوص وقسمة حاصل جمع تكرار أحدهما على حاصل جمع تكرار الأخرى ويمكن بهذه الطريقة حساب نسبة الجمل الاسمية إلى الجمل الفعلية ، أو نسبة الجمل الطويلة الى القصيرة أو نسبة نوع ما من المجاز إلى نوع آخر حسبما يرى الباحث.

رابعاً: قياس التوزيع الاحتمالي لخاصة أسلوبية معينة.

خامساً: يخدم الإحصاء أَيضاً في التعرف الى النزعات المركزية في النصوص.

أما بخصوص مفردات منهجه فإننا نستطيع تصنيفها تحت حقلين رئيسين من البحث، يحتوي أحدهما قضايا التحليل الأسلوبي في المنهج اللساني، ويشمل الآخر مشكلات البحث الأسلوبي للنظرية والتطبيقية في الأدب . وقد وجد البحث ان الدكتور سعد مصلوح يعلن عن سعة إلى الخوض في مجال البحث الأسلوبي لكننا لم نجده يذكر مصطلحي علم الأسلوب والأسلوبية مما يمكننا من التأويل على وفق

فهمنا لصلة هذين المصطلحين بالنظرية، وفي هذا الموقف بالذات يتجنب التصريح بالخوض في مجال التنظير إذْ يميل نحو التطبيق، أو نحو البحث العام في الموضوع من غير تحديد للموقف المعرفي . وعليه فان المنطلقات المبدئية يصرح بالتزامه بها في كتابهِ تتلخص بالاتي[١٢]:

١- عرض بعض المقاييس الكمية التي تستخدم في تحليل الأَساليب ومناقشة محتواها، وأسباب اختيارها.

٢- تطبيق تلك المقاييس على النصوص العربية.

ويمكن تلخيص رؤيته العلمية في المنطلقين اللذين بنى عليهما خطابه الافتتاحي هذا وهما من التداخل والتعاضد بحيث يؤديان إلى تكميل بعضهما من غير لبس او تعارض ويؤلفان ثنائياً تكميلياً وهما:

١- علمية المنهج وأكاديميته وأثر ذلك في فرض النظرية الأسلوبية ضمن واقع المعرفة الحديثة.

٢- الانضباط المعرفي العلمي، بوساطة الإحصاء

ولتحقيق وجود هذين المنطلقين (الانضباط والعلمية) في خطابه وجدناه يتخذ آليات جعلها بهيأة الامتياز لمشروعهِ إذ يعلن عن سعيه لتحقيقها نلخصها في النقطتين الآتيتين[١٣]:

١- الجِدّة في الأفكار والجدارة في تبينها فضلاً عن الكفاءة في تطبيقها.

٢- المساهمة في ازدهار البحث الأسلوبي والعمل على تمكينه ضمن إِطار المعرفة المعاصرة .

وعليه فقد وجد البحث ان د. سعد مصلوح كان مشروعه يقوم على الضبط المعرفي إذ سعى في كتابه الأول ((الأسلوب دراسة لغوية إحصائية)) إلى وضع منهج أكاديمي يقوم على الإحصاء متوخياً الدقة العلمية في الدرس، وان توجهه الأسلوبي لا يخرج عن دائرة التحليل اللساني للأدب . وقد خاض في بحث مشكلات

الأسلوبية النظرية والتطبيقية وهو يميل الى التطبيق الاستكشافي لمبادئ النظرية الأسلوبية لإثبات صحتها وان المنهج المصنف بالعلمية، والمتخذ من الأكاديمية دستوراً له يؤثر بحسب رأيه في فرض النظرية الأسلوبية على الواقع المعرفي الحديث وتتهيأ الدقة العلمية في التطبيق لهذا المنهج عن طريق الإحصاء. ولهذا يعني انه يختار منهجاً واحداً من مناهج الأسلوبية ويحاول إشاعته وتبنيه في الثقافة العربية.

ولا يبتعد في كتابه الثاني ((في النص الأدبي: دراسة أسلوبية إحصائية)) عن الحقل اللساني في دراسة الأدب ويبقى توجهه الأول سوى انه يحدد دائرة العمل لهذه المرة، إذ يقصرها على النص الأدبي خاصة ويسلّم بضرورة تحديث علم الأدب ومجاراة واقع التقدم الذي شمل معان العصر الحديث باتباع المنهج الأسلوبي متوجهاً فيهِ نحو الإحصاء في رصد الظواهر وإقامة النقد. وان من القضايا الهامة في مشروعه ما يأتي[١٤]:

١- التعريف بالمصطلحات في إطار الأسلوبية.

٢- ضبط المقاييس في إطار الأسلوبية.

ويمكننا القول بأن د. سعد عبدالعزيز مصلوح هو الباحث الأول الذي سعى إلى إعلان مشروع منهجي في النقد وتأتي أهمية عمله من أحكامه المنطلق النظري في مسعاه لتأسيس المنهج التطبيقي في مقابل سعي الباحثين (عبد السلام المسدي وصلاح فضل) ، الى بيان النظرية الأسلوبية في واقعها الفكري العام ضمن واقع الثقافة الأدبية المعاصرة[١٥].

وعليه فان الأسلوب عند د. سعد مصلوح[١٦] هو: -

١- اختبار وانتقاء. ٢- ردود أفعال. ٣- مفارقة (انزياح – انحراف). ٤- إضافة. ٥- تضمن.

ويتحدث عن التشكيل الأسلوبي وثلاثية المقام، المعنى، المقال من خلال التمثيل بجوهر الوظيفة التصويرية أولاً: في التعبير عن التجربة وعما يتضمنه الموقف من

تقويم للأحداث والأَشخاص والأفكار ومن جوانب تأثيرية وثانياً الوظيفة التعاملية التي تعبر عن دور المتكلم في مقام الكلام وما يلزم بهِ نفسه من قيم وأعراف في تعاملهِ مع الآخرين وهذهِ الوظيفة من وظائف اللغة التي تُعين على تأسيس العلاقات الاجتماعية وترسيخها(١٧).

وعليه فغاية اللساني هي الكشف عن أَسرار الظاهرة اللسانية وما سوى ذلك من غايات هي عند د. مصلوح تالٍ وتبع. وغاية الناقد هي قراءة العمل الأدبي وتفسيره.

المبحث الرابع: الاتجاه الأسلوبي الإحصائيّ نقدٌ وتقويم: البحث اللساني في المفهوم المعاصر لم يدخل حيز التطبيق وتُكتب فيهِ دراسات على وفق هذا المنهج إلا في النصف الثاني من القرن العشرين ولكن تطبيقات المنهج سبقت هذا الزمن فحركة التأليف في علوم اللغة العربية في العصر الحديث شهدت تحولاً كبيراً في منهجية البحث ولغته أيضاً وابرز سمات هذا التحول هو الابتعاد عن الأقوال الظنيَّة واتباع المنهج التحليلي الوصفي لان اللغة وحدها تشكل بناءً فكرياً لهُ أعماقهُ، ولهذا الأساس كُتِبت الدراسات اللغوية لتعالج مختلف القضايا الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية على وفق منهج وصفي تحليلي يقوم على مبدأ العلمّية في البحث وأبرز مظاهره العلمية تحليل اللغة تحليلاً يقوم على الترابط بين مستويات الدرس اللغوي بدءاً من الصوت وهو اصغر جزء في البنية اللغوية قبل ان يكون الفونيم والمورفيم أصغر جُزأين في البنية الصرفية ولذا ظهرت الأسلوبية الإحصائية كدراسة لسانية لغوية حديثة للنصوص الأدبية واللغوية ورائدها د. سعد مصلوح الذي أكد استبصار الآفاق الرحبة التي تعد بها المعالجة الإحصائية، الأسلوبية. لنصوص اللغة تفضي بنا إلى ضرورة وضعها في موضعها من الهموم العلمية للباحث العربي المعاصر، ويوجز القول في كلمةٍ خاتمة عن قضايا العربية والمعالجة الإحصائية بقوله(١٨): ((ولا شك أن رصد ما تم إنجازه في هذا المقام ربما كان أيسر منالاً من تعداد المجالات التي تتطلع العربية إلى اقتحامها والإفادة منها)) . بيد أننا نشير هنا إلى عدة مجالات تمثل بالنسبة لجمهرة الباحثين أحلاماً

تستعص على التحقيق إلا باستنفار الجهود وتضافر المؤسسات العلمية القادرة على التخطيط والمتابعة والانجاز وهي:

أولها: انجاز وصف دقيق للعربية المعاصرة على اختلاف تنوعاتها الإقليمية والاجتماعية.

وثانيها: إنجاز المعجم العربي التاريخي.

وثالثها: الأطلس اللساني العربي.

ورابعها: الإسهام الجاد من اللسانيين في صياغة نظرية نقدية تستوفي أشراط العلمية والموضوعية في دراسة النص الأدبي بأجناسه المختلفة .

وفي كل ما تقدم نحسب أن إعمال المعالجة الإحصائية والحاسوبية في دراسة نصوص العربية قديمها وحديثها هو أمر لا يمكن تجاوزه بحال)).

وعليه فإننا نجد ان تطبيق المنظور الإحصائي في الدراسات الأسلوبية العربية في محاولة د. سعد مصلوح التي حاول فيها تطبيق مقياس كَمي في معالجة النصوص الأدبية من ناحية أساليبها. فتبنى معادلة بوزيمان التي اقترحها العالم الألماني بوزيمان عام ١٩٢٥ وخلاصة الغرض الذي وصفه: أن من الممكن تمييز النص الأدبي بواسطة تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير: أولهما: التعبير بالحدث. وثانيها: التعبير بالوصف ويعني بوزيمان بأولهما: الكلمات التي تعبر عن حدث وفعل، وبالثاني الكلمات التي تعبر عن صفة مميزة لشيء ما أي تصف هذا الشيء وصفاً كمياً أو كيفياً[١٩].ولاشك في ان معادلة بوزيمان انما هي تمخض عن طبيعة اللغة التي كان يدرس النصوص المكتوبة بها (الالمانية) ومستوياتها النحوية وإن هذا الاختلاف هو المصدر الذي يمنع تعميم الفرضيات على اللغات جميعها[٢٠]. ومن هنا نلحظ ان هناك فرقاً بين النظرية والتطبيق فعند د. سعد مصلوح لا ترى جِدّةً في كتاباته. وإنما هو تنظير فقط لأنه يأتي بقواعد ونظريات من خارج اللغة العربية ليطبقها على اللغة العربية وهذا لا يجوز لأنه يخلق فجوة كبيرة بين النظرية والتطبيق.

ومثل معادلة بوزيمان مقياس كاي٢chi-Square الذي يعتبره د. سعد مصلوح من مقاييس التوزيعات الحرة التي لا تعتمد شكل التوزيع التكراري ويكثر استخدامه في البحوث الاسلوبية واللغوية الإحصائية لاختبار دلالة التكرارات على المستوى الفونيمي. وتقوم فكرة المقياس على اختيار دلالة الارتباط بين ظاهرة، والبيانات العددية المتعلقة بتوزيعها مثال ذلك: الارتباط بين جنس المتكلم ذكراً أو أنثى واشتمال الكلام على ظواهر صوتية أو تركيبية أو اسلوبية معينة ويقول ان هذهِ المسألة تجعلنا بين فرضين: أما ان الارتباط بين جنس المتكلم وهذه الظواهر هو ارتباط منعدم ويسمى هذا الفرض: فرض العدم او الفرض الصفري واما ان يكون ثمة ارتباط دال بين الأمرين[٢١].

وعليه نجد أن أهم منجزات الدراسة اللسانية التي هي محور البحث تكمن في:

١- تخليص الدرس اللغوي من التصورات الضنَّية أو الغيبية وفهم اللغة على أَنها حاجة بالدرجة الأولى وممارسة واستعمال بالدرجة الثانية.

٢- معالجة المستويات الصوتية على أنها القاعدة التي تستند إليها النشاطات اللغوية والتطبيقية.

٣- ان الدرس اللساني المعاصر شهد تحديثاً في اللغة أي اللغة التي تكتب بها البحوث اللسانية وشهد الدرس اللساني تحولاً من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي.

٤- لم تقتصر اللسانيات المعاصرة على النصوص الأدبية فحسب وان كان هذا ميدانها الرئيس وانما تحولت إلى المشاركة من كثير من الحقول المعرفية المختلفة وتداخلت مع الدراسات التطبيقية العلمية فمثلاً استعانت اللسانيات بالحاسوب فنشأ تخصص جديد وهو علم اللسانيات الإحصائي او الرياضي، ودخلت اللسانيات في حقول الطب فنشأ علم الطب اللغوي والطب النفسي وخصوصاً في معالجة المعاقين ومشاكلهم اللغوية. وهذا يعني ان اللسانيات تحولت من جانبها اللغوي البحت الى الجانب الإنساني أو المعرفي العام.

النقد اللساني : ذكر الدكتور سعد مصلوح ان علماء اللسان والنقاد على وجه الاجمال يرون في الأسلوب واحداً من تجليات التنوع في السلوك القولي ، لكن هذا (التنوع نجده عند اللساني أوسع من الناقد ، وفرق ما بين الرجلين هو فرق في العلمية تتبعه سلسلة فروق هي[٢٢]:

١- غاية اللساني هو الكشف عن أسرار الظاهرة اللسانية، وما سوى ذلك من غايات هو عنده تالٍ وتَبَع. وغاية الناقد هو قراءة العمل الأدبي وتفسيره وتقويمه وما سوى ذلك عنده من الغايات تالٍ وتبع.

٢- إن النص الأدبي هو واحد من مظاهر استخدام اللغة التي يوليها اللساني غاية من بحث الأسلوب من منظوره الخاص أما الناقد فالنص الأدبي هو كل بضاعته والموضع الوحيد لتأمله ونظرِهِ.

٣- ان المكون الأسلوبي اللساني هو بالنسبة إليه واحد من مكونات أُخرى لا يكمل عمله الا بالوقوف عليهِ وبنقص عمله بالوقوف عنده. تلك هي المنطقة التي يتقاطع عندها عمل اللساني والناقد ثم يتجاوزها كل منهما ماضياً إلى غايتهِ انها منطقة الوقوف والتشخيص.

٤- سعة مفهوم الأسلوب في البحث اللساني فهو اذا أُضيف إلى فرد كان أسلوبا فردياً واذا اضيف الى فئة من فئات المجتمع كان أسلوبا فئوياً ومثله إذا أضيف إلى عصرٍ بعينه كان أسلوباً مميزاً لحقبة من حقب تاريخ اللغة. وعليه نجد سعة المفهوم عند اللساني وبالقياس إليه عند الناقد وتقاطع الاهتمامات بين اللساني والناقد على اختلاف الوسائل والغايات. وفي الجانب التطبيقي نرى د. سعد مصلوح يؤكد ان العمل الأدبي غير قابل للتلخيص، وان لغة النص هي مادة التحليل والدراسة باعتبارها مفتاح أسرار العمل الأدبي مظهر عبقرية الكاتب تنتفي كل قيمة للشروح والتلخيصيات الطارئة على النص من خارجه بهدف إعادة صياغة لغة الكاتب على هذا النحو أو ذاك، ولكننا رأيناه يقدّم للبيانات الإحصائية وتحليلها بالخطوط العامة للأحداث والشخصيات الأساسية في الروايتين وهما: ((بعد الغروب)) لمحمد عبد

الحليم عبد الله و((ميرامار)) لنجيب محفوظ ويؤكد الدكتور ان الناقد الذي يريد ان يعرض نتائجها هذهِ على معاييره الخاصة سواء كانت ذوقية ام موضوعية فلابد له من قراءة نص الرواية قراءة واعية وهو هنا قريب لتنظير العملية الأدبية لا تحليل النص الأدبي بأسلوبية تحليلية وصفيّة[٢٣] فنراه يقول: ((وقبل ان نأخذ تحليل البيانات في الجدول (٣) نعيد الى الذاكرة فرضا سبق ان سجلناه حول العلاقة بين لغة السرد ولغة الحوار في الرواية وفحواه ان قيمة ن ف ص مع الحوار تكون أكبر من قيمة ن ف ص مع السرد فهل تصدق البيانات الواردة في الجدول المذكور هذا الفرض أم تشكك فيه)) [٢٤]. وعليه وجد البحث أن دراسات د. سعد مصلوح الأسلوبية تقوم أساسا على فكرة واحدة وهي استخدام النسبة بين الصفات والأفعال في النصوص مؤشراً إحصائياً يتم على أساسه تشخيص الأساليب وسير العلاقة، بين الكاتب وإبطال عملهِ المسرحي او الروائي وقياس البعد الدراسي للشخصية. ونراه يوجز المجالات المتعددة التي يمكن ان تستخدم في علاجها المعاملة التي عرفناها بمعادلة بوزيمان واهم الفروض التي تثيرها وهذهِ هي [٢٥]

أولاً: في علم النفس اللغويّ:

١- قياس درجة الانفعال.

٢- قياس درجة التوازن العاطفي.

٣- قياس الحركيّة.

٤- قياس دقة التعبير ودرجة موضوعيته.

ثانياً: بالنسبة للمؤلف

يمكن استخدام هذا المقياس:

١- لتمييز شخصية المؤلف حين يتحدث عن نفسه حديثاً مباشراً.

٢- لتمييز جنس المؤلف (من حيث الذكورة والأنوثة).

٣- كمتغير يرتبط بمراحل عمر المؤلف من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة.

ثالثاً: بالنسبة للأعمال الأدبيّة:

١- لتمييز الأعمال العلمية من الأعمال الأدبية.

٢- لتمييز الشّعريّة من النثريّة.

٣- لتمييز اللغة المنطوقة من المكتوبة.

٤- لتمييز نصوص الفصحى من اللهجات.

٥- لتمييز الحكايات الشعبية من القصص والروايات معروفة المؤلف.

٦- لتمييز المسرحيات كجنس أدبي على أساس علاقتها باللغة المنطوقة او المكتوبة وبنوعية اللغة المستخدمة فيها فصحى أو لهجات.

٧- لتمييز فنون الشعر المختلفة.

٨- لتمييز أساليب وطرق العرض في المسرحية والرواية مثل:

أ. المنلوج (كلام الفرد).
ب. الدبالوج (الحوار).
جـ. السرد والوصف.
ز. درامية الموقف.
د. الأحاديث الطويلة.
هـ. الأحاديث القصيرة.
و. الشخصيات في المسرحية والرواية.
ح. ربط تغير قيمة (ن ف ص) بالتطور الدرامي في المسرحية أو الرواية.

ويتم تفسير تأثير هذه العوامل على أساس تصنيفها إلى:

١-عوامل تنزع بقيمة ن ف ص نحو الارتفاع.

٢-عوامل تنزع بقيمة ن ف ص نحو الانخفاض.

الخاتمة ونتائج البحث : لقد أَسفر هذا البحث عن جملةٍ من النتائج نوجز أَهمها بالآتي:-

١-ان البحث الأسلوبي أصبح ينظر إلى النص الأدبي نظرة نقدية شاملة، إذ اتسع مصطلح ((الأسلوب)) الذي يمثل نقطة انطلاق الباحثين في سعيهم لتأسيس علم الأساليب ليشمل البناء العام للنص بجميع مكوناتهِ وأجزائهِ.

٢- تقع الأسلوبية المتأثرة باللسانيات في نشأتها ضمن مسرد المناهج المهتمة بالنص بيد أنها لا تخضع لسلطتهِ المطلقة فهي لا تلتزم مقولة ((البنية)) بوصفها حتمية ومقيّدة للباحث، فالأسلوبية في الأساس نتاج تلاقح النظريات المختلفة والمناهج المتنوعة وقد استطاعت بفضل ذلك أن تتخذ لها منهجاً في التحليل والاستقرار متنوّع بحسب الجملة التي تتبناها.

٣- وجد البحث في مستوى التنظير في الدراسة الاسلوبية ثلاث اتجاهات في الدراسة اللغوية وهي:

أ- توجه سلفي بلاغي خالص وهو الذي يحاول رواده تحديد البلاغة وإحياءها.

ب- توجه يميل إلى التوسط بين التراث والحداثة في موقفه العام من منهج البحث ويريد رواده تأصيل وجود الأسلوبية ومفاهيمها في عمق الثقافة العربية والموروث البلاغي.

ج- توجه حداثتي مجدد ويتبنى مشروع الأسلوبية ويحاول نشره بصورتهِ المنقولة عن الغرب في الثقافة العربية المعاصرة وقد يحاول بعض رواده تطويره بحسب مقدرتهم وإمكاناتهم الذاتية.

٤- وجد الدكتور سعد مصلوح إن البلاغة العربة والأسلوبيات اللسانية مبحثان يجتمعان على فحص مادة هي لغة الأدب، أي: النص الإبداعي ولكنهما يختلفان فيما وراء ذلك اختلافاً كبيراً من وجوه ذكرها البحث.

٥- حاول الدكتور ان يُكْسب لباب من أبواب الأسلوبيات شرعيةً معرفيّة في الوجود وهو ما اقترح الاصطلاح عليه بـ((الجغرافية الأسلوبية)) وصلاً لنسبةِ بالجغرافية اللغوية التي هي علمٌ قارٌّ عرف طريقه إلى ساحة الفكر اللساني في الربع الأخير من القرن التاسع عشر لظروف علمية اقتضت وجوده .

٦-قَسَّم الأطلس اللساني الذي عنى به النسب الى العلم والمنهج إلى ثلاثة أنواع هي:

١- أطلس اللهجات. ٢- أطلس اللغات. ٣ الأطلس الأسلوبي.

٧- برهنت دراسات الدكتور سعد مصلوح على وجود دور واعد للجغرافية الأسلوبية في تشخيص الأساليب، وكشفت عن وجود درجتين من التشكيل الأسلوبي الأولى: بحسب محددات المقام، والثانية: تشكيل يقع في أجناس القول الأدبية لاسيما في الأنماط المركبة مثل القصة والرواية والمسرحية.

٨- توجه الدكتور نحو المنهج الإحصائي ليقيم عليهِ مشروعه في دراسة الأسلوب وذكر ان للإحصاء أَهميةً كبيرة ترجع إلى قدرته على التمييز بين السمات أو الخصائص اللغوية التي يمكن اعتبارها خاصية أسلوبية ، وبين السمات التي ترد في النص وروداً عشوائياً. وان ليس كل انحراف جديراً بأن يعد له خاصية أسلوبية.

٩- أما بخصوص مفردات منهجية فأننا نستطيع تصنيفها تحت حقلين رئيسين من البحث يحتوي أحدهما قضايا التحليل الأسلوبي في المنهج اللساني، ويشمل الآخر مشكلات البحث الأسلوبي النظرية والتطبيقية في الأدب.

١٠- إن من القضايا الهامة التي أثبتها د. سعد مصلوح هي

١- التعريف بالمصطلحات في إطار الأسلوبية.

٢- ضبط المقاييس في إطار الأسلوبية.

لذلك يعد الدكتّور الباحث الأول الذي سعى إلى إعلان مشروع منهجي في النقد، وتأتي أهمية عملهِ من احكامه المنطلق النظري في مسعاه إلى تأسيس المنهج التطبيقي.

١١- ان الأسلوب عند الدكتور سعد مصلوح هو:

١- اختبار وانتقاء. ٢- ردود أفعال. ٣- مفارقة (انحراف او انزياح).

٤- إضافة. ٥- تضمن.

١٢- تبنى معادلة بوزيمان لتمييز النص الأدبي ومقياس كاي الذي يعده د. سعد من مقاييس التوزيعات الحرة التي لا تعتمد شكل التوزيع التكراري ووجد البحث انهما تمخض عن طبيعة اللغة التي كان يدرس النصوص المكتوبة بها والألمانية

ومستوياتها النحوية والمعجمية والصرفية ومن البديهي ان اللغات تختلف في جميع هذهِ المستويات.

الهوامش:

(١) ينظر: في النقد اللساني: دراسات ومناقشات في مسائل الخلاف، د. سعد مصلوح: ٧.

(٢) ينظر: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة: د. سعد عبد العزيز مصلوح، ٢١-٢٢.

(٣) المصدر السابق: ٢٢-٢٣.

(٤) المصدر نفسه: ٢٣- ٤٢.

(٥) المصدر نفسه: ٦٧-٧٢.

(٦) المصدر نفسه: ١٥٣-١٨٨.

(٧) المصدر نفسه: ١٧٢-١٧٣.

(٨) المصدر نفسه: ١٧٤-١٨٠.

(٩) المصدر نفسه: ١٨٧-١٨٨.

(١٠) دراسة لغوية إحصائية، د. سعد مصلوح: ١٤.

(١١) المصدر نفسه: ٣٧-٣٨.

(١٢) المصدر نفسه: ٤٢-٤٣.

(١٣) ينظر: الأسلوبية في النقد العربي الحديث: دراسة في تحليل الخطاب: فرحان بدري الحربي: ٧٨-٧٩.

(١٤) ينظر: في النص الأدبي: دراسة أسلوبية إحصائية، د. سعد مصلوح: ١٥-٩٠.

(١٥) ينظر: الأسلوبية في النقد العربي الحديث: ١٢٥ – ١٢٦.

(١٦) ينظر: الأسلوب: د. يعد مصلوح: ٢٥-٣٠.

(١٧) ينظر: الدراسة الإحصائية للأسلوب بحث في المفهوم والإجراء و الوظيفة: د. سعد مصلوح: ١١٧.

(١٨) الدراسة الإحصائية للأسلوب: ١٤٠.

(١٩) ينظر: الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية: ٥٩ – ٦٧.

(٢٠) ينظر: البنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر السياب : د. حسن ناظم: ٥١ .

(٢١) ينظر: الدراسة الإحصائية للأسلوب: ١٢٤.

(٢٢) المصدر نفسه: ١٠٥-١٠٦.

(٢٣) ينظر: الأسلوب: ١٠١-١٢٠.

(٢٤) المصدر السابق: ١٠٨.

(٢٥) ينظر: المصدر السابق: ١٢٣ – ١٢٤.

المصـــادر

١- الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، د. سعد مصلوح، ط٢، ١٩٨٤، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢- الأسلوبية في النقد العربي الحديث: دراسة في تحليل الخطاب، فرحان بدري الحربي، ط١٠، ٢٠٠٣، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان.

٣- البِنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر السياب، د. حسن ناظم، ط١٠، ٢٠٠٢، الدار البيضاء، المغرب.

٤- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: آفاق جديدة، د. سعد عبدالعزيز مصلوح، ط١٠، ٢٠٠٣، لجنة التأليف والتعريف، الكويت.

٥- في النقد اللساني: دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، د. سعد عبدالعزيز مصلوح، ط١٠، ٢٠٠٤م، علم الكتب، القاهرة.

٦- في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية، د. سعد مصلوح، ط٠، ١٩٩٣م، النادي الأدبي، جدّة.

البحوث:

• الدراسة الإحصائية للأسلوب: بحث في المفهوم والإجراء والوظيفة، د. سعد مصلوح، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، الكويت.